



## الفصل السابع

### ابن المعتز ونظرية البديع

كان أبو العباس عبد الله بن المعتز، الخليفة العباسي المولود سنة (٢٤٧هـ) ، والمتوفى سنة (٢٩٦هـ) شاعرا قبل ان يكون ناقدا بلاغيا ، وكان يجري في شعره على سنة المحدثين ومذاهبهم ، وكان مذهب البديع أشهر هذه المذاهب في عصره ، منذ ان فتح باب القول فيه مسلم بن الوليد ، وتبعه فيه جماعة أشهرهم أبو تمام ، الذي جعل شعره كله مذهباً واحداً فيه ، وكان ابن المعتز في شعره، مبتكراً لكثير من التشبيهات ، حتى تخصص وعرف بها ، بل جعله النقاد أشعر الناس في الأوصاف والتشبيهات.

#### إسهام ابن المعتز النقدي :

لقد ثار حول هذا المذهب ( أي مذهب البديع ) ، ومن يمثله من الشعراء ، وعلى رأسهم ابي تمام ضجة كبيرة ، كان لها اثر كبير في توجيه حركة النقد الادبي وغناها ، وقد أسهم ابن المعتز فيها فألف كتب نقدية منها ( محاسن شعر ابي تمام ومساوئه ) ، وكتاب ( طبقات الشعراء المحدثين ) وكتاب ( البديع ) .

#### أهمية كتاب البديع :

يمثل تأليف كتاب البديع أهمية كبيرة في تاريخ النقد العربي كونه :

- ١- حدد خصائص مذهب البديع في الشعر العربي ، فأصبحت مبادئه معروفة ، فكانت محاولته هذه أول محاولة في تاريخ النقد العربي ، لوضع خصائص وأسس مذهب أدبي فني ، يقوم على تحليل الشعر وعرض خصائصه.
- ٢- حصر ألوان البديع بخمسة ؛ وأضاف إليها ثلاثة عشر فناً لم ير أنها داخلة في مفهوم البديع ، وحدد معناها وذكر أمثلة عليها من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام العرب ، والتمس شواهدا في الشعر القديم.

ان وضع مصطلحات البديع وفنونه من قبل ابن المعتز حادثة جديدة في القرن الثالث الهجري ، لها أهميتها وذلك لان كل دراسة لا بد لها من مصطلحات ، وفي المصطلحات عادة تتركز المبادئ لكل وفن .

ومن خلال تحديد ابن المعتز لخصائص مذهب البديع ، ووصفه مصطلحات تلك الخصائص - ساعد على تطور النقد المنهجي عند العرب ، وعد عمله هذا أول محاولة منظمة لوضع أسس البلاغة ، ولم شتاتها ، وتحديد مصطلحاتها دون ان يفقد علاقته بالنقد .

## مفهوم البديع عند ابن المعتز:

عرف ابن المعتز البديع بأنه : ((اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء والنقاد المتأدبين منهم))، وقد قسم فنون البديع الرئيسية الى خمسة أبواب هي (الاستعارة - التجنيس - المطابقة - رد إجاز الكلام على ما تقدمها - المذهب الكلامي) ، وذكر أنه ما جمع فنون البديع ولا سبق إليها احد قبله ، ونص على انه ألف كتاب البديع هذا سنة (٢٧٤هـ) ، وبهذا يكون مصطلح البديع لم يتحدد الى عهده ، ولم يتفق النقاد على مدلوله ، ولهذا اتعب نفسه على تثبيت هذا المدلول ، وحصره في تلك الأبواب الخمسة ، وما أضاف إليها من فنون بلغت ثلاثة عشر فنا ، عدها من محاسن الكلام ، ولم يجعلها من خصائص مذهب البديع ، ولكن تجدر الإشارة هنا ، الى ان الجاحظ كان قد سبق ابن المعتز الى الإشارة للبديع في كتبه ، والاستشهاد عليه في بعض النماذج من الشعراء الذين عرفوا به كبشار بن برد ومسلم بن الوليد .

## سبب تأليف كتاب البديع:

تعددت اقوال النقاد في سبب تأليف كتاب البديع ، فمنهم من ذهب الى ان ابن المعتز وضع كتابه ليبطل دعوى المحدثين بان البديع من صنعهم ، والمسألة - في حقيقتها - ليست مسألة محسنات تحصى وتستعمل، وإنما هي خصومة بين القدماء والمحدثين ، وكتاب ابن المعتز - بناء على هذا - يكون دفاعا عن القدماء ، وقد اعتمد صاحب هذا الرأي على ظاهرة كلام ابن المعتز في مقدمة كتابه حيث قال : (( قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا ، بعضا ما جاء في القرآن الكريم واللغة وأحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وكلام الصحابة (رضي الله عنهم) والإعراب وغيرهم ، وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع، ليعلم أن بشارا ومسلما وأبو نواس ومن قبلهم وسلك سبيلهم ، انهم لم يسبقوا الى هذا الفن ، ولكنه كثر في أشعارهم ، فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه)) .

لكن هناك رأي مخالف يعد كتاب البديع من الكتب المؤلفة دفاعا عن المحدثين ، واحتجاجا للبديعيين ، حتى اثبت ان البديع معروف في العربية منذ العهد القديم ، فلم هذه الحملة على المحدثين الذين ذكروا هذه الفنون في أشعارهم ؟ ان كتاب البديع - وإن كان في الواقع يريد ان ينفي ادعاء المحدثين حق ابتكار ما سماه المحدثون البديع - يؤكد حقيقة أخرى وهي ان الشعر المحدث ، لم يخرج على أصول العربية وعمود الشعر في استعمال البديع ، أما اسراف الشعراء المحدثون في استعماله فهذا شيء آخر، أما تعدد الآراء في سبب تأليف الكتاب فتكشفه دراسة ومتابعة وآراء النقاد والمتعصبين ضد الشعر المحدث.

كذلك لا ينفصل سبب تأليف هذا الكتاب عن شخصية ابن المعتز الشاعر ، ومواقفه النقدية الأخرى، فهو من أنصار الشعراء المحدثين ، وهو يميل كذلك الى استعمال البديع في شعره ميلا يجعل كتاب البديع والمحسنات اللفظية ردا على الكثير من النقاد على شعراء زمانه ، الذين اخذوا عليهم إفراطهم في استعمال البديع ، فأراد ابن المعتز أن يدافع عن الشعراء المحدثين ، بالتصدي للدفاع عن السمة التي عرفت في أشعارهم وهي إيراد البديع والتفنن فيه ، ليقول ان البديع ليس بمستحدث ولا بمعيب ، لان القدماء قد عرفوه.

## منهج كتاب البديع:

حصر ابن المعتز ألوان البديع ، فهي في كتابه البديع خمسة فنون ، واضعاً مصطلحاتها ، ومحددًا معناها ، وذكرًا أمثلة عليها من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام العرب وشعر القدماء وهذه الفنون هي :

١- الاستعارة : وهي - عنده استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها ، ومثل لها بقول امرئ القيس :

وليل كموج البحر أرخى سدوله      علي بأنواع الهموم ليبتلي  
فقلت له لما تمطى بصلبه      وأردف إعجازا وناء بكلل

فاستعار (الليل) الذي لا صلب له إي (ظهر) ولا عجز، والكلل من الجمل .

٢- التجنيس: وهو ان تجيء بالكلمة تجانس كلمة أخرى، أي تشابهها في تأليف حروفها ومعانيها أو تأليف الحروف دون المعنى ، وذكر أمثلة من شعر أبي تمام قوله :

ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت      فيه الظنون أم مذهب أم مذهب

٣- المطابقة : وهي الجمع بين المتضادين في الكلام ، وأورد له أمثلة من شعر أبي تمام :

لهم منزل قد كان بالبيض كالمها      فصيح المعاني ثم أصبح عجما

٤- رد أعجاز الكلام على متقدمها : إي رد الإعجاز على الصدور وهو الكلام الذي يوجد في نصفه الأخير لفظ يشبه لفظا موجودا في نصفه الأول ، وذكر أمثلة من شعر أبي تمام:

ومن كان بالبيض الكواعب مغرما      فما زال في البيض القواطع مغرما

٥- المذهب الكلامي : عني ابن المعتز بالمذهب الكلامي الذي هو طريقة المتكلمين العقلية في دقة الاستنباط وفي التعليل والكشف عن المعاني الخفية ، وشواهد هذا النوع لم ينقلها من القدماء ، فشعرهم قريب المعنى بعيد عن التفلسف ، لا يميل الى تداخل الصور ، وتعقيد المعاني ، حيث ان نماذجها تكثر عند المحديثين ، الذين يميلون الى التكلف ، كقول أبي تمام :

المجد لا يرضى بان ترضى بان      يرضى المؤمل منك إلا بالرضى

وكذلك وصفه للخمرة:

جهمية الأوصاف إلا أنها      قد لقبوها جوهر الأشياء

فهذا البيت حارشرح ديوان أبي تمام في فهم معناه ، وتفسيره فلا يعرفون ما المقصود بجهمية الأوصاف ، ولا يعرفون جوهر الأشياء .

ثم إن ابن المعتز وجد ان هذه الفنون الخمسة لم تستوف الظاهرة الجديدة التي ثار حولها الجدل والانقسام ، فأشار الى إمكانية إضافة فنون جديدة هي جماليات أدبية ، أو من محاسن الكلام ، منها ثلاثة عشر فنا لم يجعلها من أبواب البديع منها ( الالتفات - تأكيد المدح بما يشبه الذم - تجاهل العارف - حسن التضمين - الكناية - التعريض - حسن التشبيه - حسن الابتداء - وغيرها).

ونبه هنا الى ان هذه الفنون الخمسة قد تغير اوصافها في مناهج الدارسين والبلاغيين المتأخرين ، فكانت الاستعارة احدى فنون علم البيان ، في حين ظلت الاربعة الاخرى في علم البديع، وهو غير البديع الذي يورده ابن المعتز، وكتاب البديع - فضلا عن قيمته النقدية - يمثل مع كتاب البيان والتبيين للجاحظ النواة الأولى لعلم البلاغة العربية ، حيث انه يدخل في إطار الحركة النقدية لمسألة الصراع بين القديم والحديث في النقد العربي.

